

د . يوسف محمد عبد الله (2)

مؤرخ و كاتب، نائب رئيس الهيئة العامة للآثار و دور الكتب (سابقاً)  
صنعا، صحيفة الثورة، العدد (8951)، 1989/5/20م

### تأبين المؤرخ اليمني سلطان ناجي

#### كلمة الدكتور يوسف محمد عبد الله نائب رئيس الهيئة العامة للآثار و دور الكتب

في يوم الثلاثاء الساعة العاشرة صباحاً أقيم في جامعة صنعاء حفل أحياء الأربعين على وفاة الأستاذ سلطان ناجي المؤرخ اليمني المعروف ، و هذه كلمة نائب رئيس الهيئة التي ألقاها في هذه المناسبة باسم المؤرخين و الأثريين العرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام..أسمحوا لي أن أذكر فقيدنا بهذه الكلمات بإسمي و بإسم الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب:

و الموت على كفه جواهر يختار منها الجياد

ما أن هل علينا هلال رمضان و أعد المؤمنون أنفسهم لشهر الصوم و لبركة الغفران، حتى جاء النعي من مدينة الضباب يحمل إلينا خبراً مفاجئاً ينوء الصائم الصابر بهوله و يفزع إلى تكذيبه، و لكن الموت حق و كل نفس ذائقة الموت. لقد صدق الخبر و مات الصديق و الزميل سلطان عبده ناجي .

غادر العاصمة إلى لندن كعادته في السنوات الأخيرة ليواصل بحثه شهراً أو شهرين في وثائق التاريخ اليمني و المعاصر في المتحف البريطاني ، و ما أن شرع يقلب صفحات الماضي و يستنطق أخبارها حتى داهمة نزيف داخلي حاد نقل نتيجة ذلك إلى المستشفى و لكنه ما لبث أن قضى نحبه و أسلم الروح لخالقها:

كل ابن أنثى و أن طالت سلامته يوماً على آلة حذباً محمول

و أفتقده وطنه و محبوه، و على مثله تبكي البواكي و تنوح حمائم الأيك و تدمع مقل الرجال:  
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفاء أنيس و لم يسمر بمكة سامر

تلقى الفقيه تعليمه في مدارس عدن و بها أكمل دراسته بالثانوية، ثم ألتحق بقسم التاريخ بكلية العلوم و الآداب في الجامعة الأمريكية ببيروت و تخرج فيها 1961م، و أشتغل في سلك التدريس في عدن ثم سافر إلى بريطانيا ليواصل دراسته و حصل على دبلوم التربية العالي من جامعة لندن سنة 1964م .

تقلد عدة مناصب في حياته العملية منها رئاسة الهيئة العليا للخدمة المدنية ، و محاضر في كلية التربية العليا، و عضو في مجلس الشعب الأعلى ، و كان آخر منصب تولاه مستشاراً لوزارة الخارجية في صنعاء، و كان عضواً في قيادة مؤتمر الخريجين ، و عضو لجنة الوحدة اليمنية للتربية و الثقافة و الإعلام، و عضو مجلس المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، وعضو المجلس التنفيذي لإتحاد الأدباء و الكتاب اليمنيين، و عضو مركز دراسات الوحدة العربية، و عضو جمعية المؤرخين و الأثريين اليمنيين .

كرم في عيد المعلم ، و نال وسام المؤرخ العربي ، و يلقي تقديراً عالياً في الأوساط العلمية في الداخل و الخارج. و شارك الفقيد في ندوات عديدة، و ألقى محاضرات في عدد من الجامعات العربية و الأجنبية، كان من أهمها ندوة الحضارة اليمنية عام 1975م، و ندوات جامعة إكستر في بريطانيا عام 1983م .

لم يخطر في بال مدير معارف عدن البريطاني عام 1957م عندما وافق على سفر الطالب النجيب سلطان عبده ناجي في منح ة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت أن ذلك الطالب سيصبح يوماً ما مؤرخاً مرموقاً. كان جل ما ينشده مدير المعارف البريطاني هو أن ينال المبعوث أياً كان قسطاً لا بأس به من التعليم الجامعي الذي يجمع بين تخصصين أحدهما في التربية ثم بعد ذلك إجادة اللغة الإنجليزية حتى يودع في وظيفة حكومية إما التدريس في الثانوية أو في سلك الخدمة المدنية . و كان لمدير المعارف ما أراد ، حيث تخرج الطالب سلطان ناجي من الجامعة بدرجة بكالوريوس في التاريخ ودبلوم تربية و إلى جانب ذلك كان يجيد اللغة الانجليزية ، و تحققت خطة مدير المعارف كاملة، إذ ألتحق بعد التخرج في سلك التدريس في الثانوية ثم عندما أنس منه كفاءة إدارية ، نقل إلى الخدمة المدنية و التي أثبت جدارته فيها و تدرج في مراتبها حتى أصبح رئيسها بعد الإستقلال بل و أنه كان أول عنصر محلي يصل إلى مرتبة نائب رئيس الخدمة المدنية قبل الإستقلال.

أما ما لم يدركه مدير المعارف البريطاني آنذاك ، إن ذلك الطالب لن يضيع وقته سدى في بيروت، فقد تتلمذ بحماس على يد ثلاثة من أشهر أساتذة التاريخ العربي بالجامعة الأمريكية بل في الوطن العربي و هم الدكتور قسطنطين زريق و الدكتور نقولا زيادة و الدكتور نبيه فارس، و عاد و معه حصيله طيبة من المعرفة و الدرجة المنهجية و مكتبة تاريخية صغيرة تزايدت حتى صارت مكتبة كبيرة، و قد رأيتها شخصياً، و هي كبيرة فعلاً قبل اثنتا عشرة سنة.

و في فترة إنشغاله في الإدارة، كتب و ترجم قليلاً، و لكن ما أن أعتق من ريق الوظيفة الإدارية و تعين مدرساً في كلية التربية بعدن ، حتى بدأ قلمه يحبر الأبحاث و المقالات و الترجمات و الكتب. فكتب في الثقافة الجديدة و الحكمة و اليمن الجديد و مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية و غيرها، سلسلة من الدراسات حول التاريخ اليمني القديم و الإسلام الحديث، و تركت أبحاثه في السنوات الأخيرة حول التاريخ اليمني الحديث مستفيدة من المؤلفات الأجنبية و الوثائق البريطانية المنشورة و غير المنشورة. فترجم و عرض لكتاب " Gavin " عن تاريخ الإستعمار البريطاني في عدن من 1839م إلى 1967م ، و كتب عن الخلفية التاريخية للإحتلال البريطاني لعدن ثم ألف ثلاثة كتب:

1. بليوغرافيا مختارة و تفسيرية عن اليمن في عام 1973 م .
2. التاريخ العسكري لليمن (1839م- 1967 م ) في عام 1976م .
3. دور فناة الجزيرة في أحداث ثورة 1948م بصنعاء في عام 1980م.

و مبلغ العلم أنه كان يشتغل منذ فترة بإعداد كتاب عن تاريخ اليمن السياسي الحديث ، و لا شك أنه ترك عدداً طيباً من الكتابات المفيدة التي نرجو الله أن تتيسر له سبل التحرير و النشر قريباً أنشاء الله.

## و هذه نبذة من كلمات الفقيه أسمحوا لي أن أكررها على مسامعكم :

\* (( .. في الوقت الذي يواصل فيها المستشرقون و العلماء الآخرون جهودهم الرائدة المحمودة و تطوير الدراسات اليمنية القديمة مجتمعين أو منفردين كل في مجاله و عبر مؤسسته أو هذه الهيئة أو المجلة أو دار النشر أو غيرها ، فقد آن الآوان لليمنيين، خاصة و أن بلادهم قد تحررت من النظامين الإمامي و الأجنبي، أن يتحملوا أنفسهم مسئوليتهم الوطنية و القومية لإرساء و دعم و تطوير و تعميم تراث حضارتهم القديمة الزاهرة بين مواطنيهم و إخوانهم العرب على سواء..)) سلطان ناجي - مقتطف من مشروع ورقة عمل مقدم لندوة الحضارة اليمنية في فبراير 1975م.

\* (( .. و ثمة خاصية أخرى من خصائص هذا الكتاب و هي أنني حاولت بل بذلت أقصى الجهد لتأليفه تحت منظور وحدوي يشمل أرض اليمن الطبيعية عامة و لا يقتصر على يمن من عديد (اليمنات) صنعتها في الماضي أنظمة حكم أجنبية و أشكال سلطات أسرية بحيث كنا نقرأ تواريخ لعدة يمنات و ليست ليمن واحد، تواريخ ليمن عثمانية و يمن متوكلية و يمن بريطانية إلخ إلخ ، و كل مؤرخ كان يسبح في الفلك الذي رسم له لا يتعداه إلى سواه. و رغم أن واقع التجزئة في الفترة التي دار حولها موضوع الكتاب قد فرض علي في بعض الأحيان أن أفرد صوراً خاصة للمؤسسات العسكرية في الشمال أو في الجنوب أو عن فترة الكفاح المسلح ضد الإستعمار في الجنوب أو حرب الجمهوريين ضد الملكيين في الشمال ، أقول برغم ذلك كله إلا أنني حاولت أن أسير في خطوات متوازية بحيث يتقابل مثلاً جيش الجندرية في صنعاء مع الكتيبة اليمنية الأولى في عدن ، و جيش الإمام يحيى مع جيش محمية عدن، و بحيث تأتي أحداث 26 سبتمبر حتى حصار صنعاء موازية لأحداث 14 أكتوبر حتى 30 نوفمبر ، مع عدم إغفال العلاقة العضوية في نفس الوقت بين هذه الفصول الأمر الذي يجعل القارئ يشعر - كما أظن - أنه يقرأ و يعايش تاريخاً عسكرياً ليمن واحد موحد غير ما مجزأ و لا مفتت )) سلطان ناجي - مقتطف من مقدمة " كتاب التاريخ العسكري لليمن 1839م - 1967م " ، ص 8 ، صدر الكتاب في طبعته الأولى 1976م .

\* (( ... و كيفما كان الأمر منذ دولة بني رسول على العموم تعتبر أعظم دول اليمن في العصور الوسيطة. ففي فترة قوتها أستطاعت أن تسيطر تقريباً على جميع أجزاء اليمن . و قد أستطاع الرسوليون أن يطوروا نظامهم الإداري ثم يركزوا كثيراً على الناحية الثقافية و التربوية. فقد أشتهروا في بناء المدارس و المساجد في المدن اليمنية و أصبح ذلك من مفاخرهم، فمعظم سلاطينهم كانوا يتسابقون في تأسيس المدارس و كانوا يوقفون عليها الأتيان و المناطق الخصبة - كوادي الضباب مثلاً بين تعز و الحجرية - لمواجهة تكاليف الدراسة و الدارسين و المعيدين و المدرسين... و على الإجمال فقد أزهى العلم و الأدب في أيام الدولة الرسولية و هناك من الأدلة الكثيرة ما تشير إلى أن وجود المناخ الفكري المناسب قد جذب إلى اليمن و إلى البلاط الرسولي الشعراء و الأدباء و العلماء و الفقهاء من البلدان العربية الأخرى .... و نقرأ عن الملك المؤيد أنه جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد ، يقال أن عدد كتبه قدر بمائة ألف كتاب ..... و نجد أن العلامة الريمي لما بعث إلى الملك الأفضل بشرحه على التنبيه في 24 مجلداً أمر الأفضل أن يزف إليه كما يزف الأمير، و حملت أجزاءه في أطباق

من الفضة ملفوفة بأثواب الحرير و سار العلماء و الأمراء بين يديه مصحوبين بالطلبخانة " أي بقرع الطبول" من بيت المصنف إلى دار السلطانية. و أعطى مؤلفه أثني عشر ألف دينار (...)) سلطان ناجي - مقتطف من " تاريخ اليمن الإسلامية"، سلسلة مقالات نشرت في مجلة الحكمة عام 1974م ، عدد 31 ، ص 72 - 74.

\* ((.. بعد أن عقد الإمام يحيى إتفاقاً عام 1911م مع الأتراك - و التي أعطت له وضعاً وسطياً - بعث برسائل إلى رؤساء المحميات أكد فيها إدعاءات أسلافه فيما يتعلق بكل الجنوب العربي، و دعا أولئك الذين يحملون وثائق من سابقه أن يجددوا ولائهم للسلطة اليمنية المركزية ، وفي عام 1914م كانت الإتفاقية الأنجليزية - التركية التي عينت الحدود بين تركيا و بريطانيا .ومنذ هذا التاريخ، أقر التقسيم السياسي لليمن الكبير إلى شمال و جنوب، و الذي ما زال قائماً إلى وقتنا الحاضر..)) سلطان ناجي - مقتطف من " نشؤ الدعوة إلى الوحدة اليمنية"، دراسة قدمت باللغة الإنجليزية إلى الندوة الدولية لليمن المعاصر بجامعة إكستر البريطانية، ترجمت للعربية ونشرت في مجلة المستقبل العربي، العدد (59) السنة السادسة، عام 1984م ، ص 30 .

و يعتبر الأستاذ سلطان من المؤرخين اليمنيين الرواد الذين أغنوا المكتبة التاريخية بجهودهم و وضعوا اللبنة الأساسية في مجال دراسة التاريخ اليمني الحديث، و مهدوا سبل البحث الجاد لأجيال المستقبل.

مات المؤرخ الكبير الأستاذ سلطان ناجي ، و لكن أثره الطيب باق على مر الأيام ذكراً حسناً و علماً مفيداً و ولداً صالحاً، فعزاء لأهله و زملائه و محبيه، و للأخت الكريمة أم أوراس و أوسان و معين و يزن و ريدان، و ألهمهم الله جميعاً الصبر و السلوان .

و رحم الله فقيد اليمن و أسكنه فسيح جناته . و كل شئئ هالك إلا وجهه . و إنا لله و إنا إليه راجعون.

تغمد الله الفقيد برحمته و أهدى عليه سحائب مغفرته . عظم الله لكم الأجر و ألهم الأهل الصبر و رزقنا و أياكم الشكر.

